

ضمن مشروع العلوم والطفولة المبكرة

الدراما والاستقصاء: التعلم عبر إستراتيجية عباءة الخبير

تلخيص وتعقيب: نادر وهبة

«هذا المساق بالأساس عمل على صقل مفاهيم أساسية في التربية، حيث كنت أبحث عن طرق لأقرب الطفل من التعلم والدراما.. هنا دخلت كوسيط أصيل وحقيقي».

(ملكة خورية، مشاركة في مساق عباءة الخبير)

«في البداية لم أفهم مصطلح عباءة الخبير ودورها، أما الآن وبعد أن تعرفت إلى عباءة الخبير وأهدافها وكيف تتداخل في المنهاج والمواضيع المختلفة في الصف، أستطيع أن أقول إن استفادتي كبيرة وعميقة، لأنني الآن أنظر بمنظور مختلف لكل المنهاج والعملية التعليمية».

(إيمان صبح، مشاركة في مساق عباءة الخبير)

بناء المعرفة ومفاوضتها وتوظيفها والتأمل فيها، والمشاركة في صنع القرار بمساندة المعلم والزملاء والأقران.

عقد المساق في الفترة بين 1-6 آب 2010 في مقر جمعية الهلال الأحمر في البيرة، وكان عدد المشاركين في المساق 33 مشاركة من رياض الأطفال في الضفة والقدس وفلسطين الداخل. المشاركات في هذا المساق شاركن أيضاً في مسابقات مختلفة ضمن مشروع الطفولة، وهي مسابقات «التعلم في سياق»، و«المتيميديا وتحريك الرسوم»، و«الدراما التكوينية في الطفولة المبكرة»، و«دور اللعب ومنطقة النمو الأدنى»، وجاءت هذه المسابقات المكثفة خلال فترة الصيف، حيث هدفت إلى إعطاء خبرات متنوعة للمريبات المشاركات في تعليم أطفالهن. وفيما يلي وصف لمجريات مساق عباءة الخبير مع لوك أبووت وتيم تيلر وتفاصيل بعض من الأنشطة التي قامت بها المريبات مع أبووت خلال المساق.

لوك أبووت وتلميذه تيم تيلر خبيران في مجال التعليم عبر توجه عباءة الخبير، وهما أصلاً من تلامذة دوروثي هيثكوت مؤسسة مدرسة عباءة الخبير في بريطانيا وفي العالم. تحدثت مع أبووت عن مشروع «الطفولة المبكرة والعلوم» الذي ينفذه مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، بالتعاون مع مؤسسة التعاون، وعن فكرة التعليم التكاملي وتوظيف العلوم والاستكشاف والخيال في هذا المشروع. عرضت على أبووت المشاركة في المشروع، وأبدى رغبته الشديدة في ذلك، وأرسل خطة لمساق حول عباءة الخبير كتوجه في التعليم والتعلم لمرحلة الطفولة المبكرة. بعد أن قرأت الخطة وتصفححت موقع عباءة الخبير التي أنشأها أبووت على شبكة الإنترنت (www.mantleoftheexpert.com)، أدركت حينها أننا نتحدث عن توجه تعليمي نوعي وعالم بيداغوجي متكامل، عالم يوظف النظريات البنائية-الاجتماعية والبيداغوجيا التحررية والخيال، وفي الوقت نفسه البحث والاستكشاف عبر إعطاء الطفل دوراً أساسياً في

■ نظام عباءة الخبير الثلاثي

بدأ اللقاء بالتعارف ومن ثم الإجابة عن سؤال أبوت حول توقعات المشاركين من المساق. كان أحد الأسئلة يتمحور حول الفرق بين الدراما وعباءة الخبير، حيث فضل أبوت أن يبدأ المساق بنشاط «الطبيبة والأم»، الذي يهدف إلى تعريف المشاركين بالدراما والأعراف الدرامية (من وجهة نظر المدرسة التي يتبناها). عرض أبوت نموذج «فان» (شكل 1) الذي يصل بين الاستكشاف والدراما وعباءة الخبير في ثلاث حلقات. يحدث التعلم العبرمناهي وعملية بناء المعاني في نقطة تلاقي الدوائر الثلاث. فالدراما تعلم الأطفال كيف يبني الأفراد المعاني والقيم من جراء تعرضهم لتجارب حياتية مختلفة، أما عباءة الخبير، فمن خلالها نستطيع أن نوظف ما نشاء من موضوعات في المنهاج، وكلاهما بحاجة إلى استكشاف واستقصاء وطرح أسئلة لكي يعمل النظام بشكل فعال.

■ الدراما في سياق

قدم أبوت سياقين تعليميين لكي يفرق من خلالهما بين الحلقات الثلاث في نموذج عباءة الخبير (شكل 1). ففي النشاط الأول (الأم والطبيبة)، طلب أبوت من مشاركتين أن تؤديا النشاط التالي:

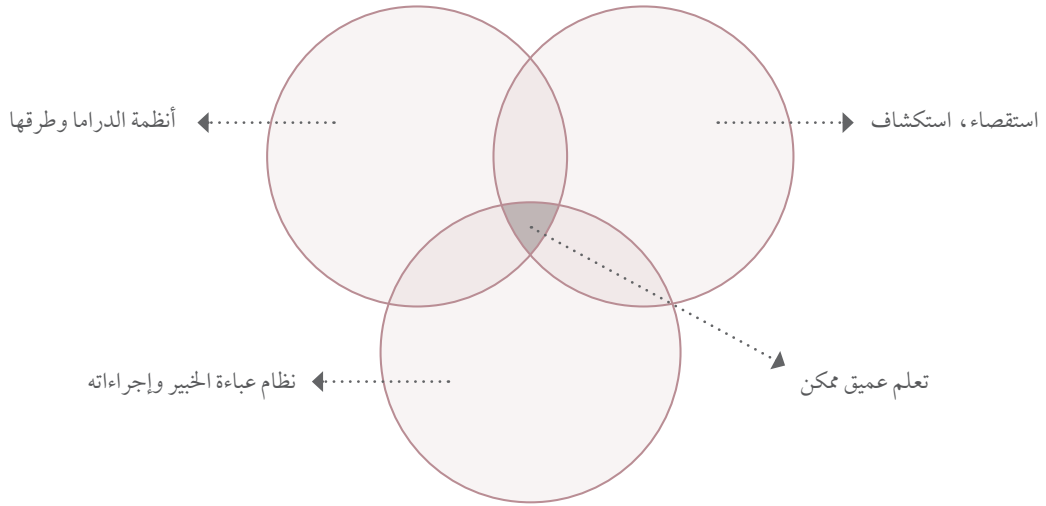
«من فضلك، أنت، توقفي لو سمحت وأمسكي هذه الورقة واعتبري أنها طفلتك المريضة. ضميها إلى صدرك، وأظهري قلقك البالغ على طفلتك». وتوجه أبوت إلى المشاركة الثانية، وقال: «أنت، من فضلك، تعالي وقفي أمام هذه الأم القلقة التي تحمل طفلتها المريضة. أنت طبيبة، ولا تبدين أي اهتمام لا بالأم ولا بالطفلة، فلديك العديد من المرضى ينتظرونك. الآن أعطوني مشهداً ثابتاً،

وقامت المعلمتان بإعطاء المشهد المطلوب.

اعتمد أبوت على هذا المشهد في تفسير الفعل الدرامي الذي هو ركيزة الدراما وعباءة الخبير. في المشهد السابق، هناك فعل متمثل بنظرات الأم إلى الطبيبة وهي في موقف الترجي أملاً في أن تشفي ابنتها، وهناك نظرات اللامبالاة من الطبيبة، حيث أدارت وجهها عن الأم. في الفعل الدرامي أيضاً هناك **دافع**، فالأم تريد أن تداوي ابنتها، والطبيبة تريد من الأم أن تنهي بسرعة لأنها مشغولة. ولدينا أيضاً **الاستثمار**، فالأم تعلم أن الأطباء سيهتمون بها إذا أبدت قلقاً ما على ابنتها، والأطباء تعلموا أن كثيرين من الناس يريدون أخذ دور غيرهم (مثلاً)، ومن ثم لدينا **النموذج**، فمن أين تعلمت الأم أن تفعل ذلك؟ هل قلدت أمها يوماً ما عندما اصطحبتها أمها إلى الطبيب؟ ومن أين تعلمت الطبيبة أن لا تهتم في مثل هذه المواقف؟ هل من الزملاء مثلاً؟ وأخير هناك **القيم**، فالقيمة الأهم لدى الأم هي رعاية طفلتها، والاهتمام بها (Caring). أما القيم التي تقود فعل الطبيبة، فربما تكون مثلاً احترام الوقت، والنزاهة في العمل، . . . الخ.

قدم أبوت نشاطاً آخر -مشهد ليلي والطفلة- ليوضح العلاقة بين عباءة الخبير والدراما، حيث تحدث عن قصة حدثت معه ومع مترجمته ليلي أثناء زيارته الصبن. يقول أبوت:

«سبقتني ليلي ومعها صديقها إلى السيارة، وفجأة توقفا وعلامات الدهشة المزوجة بالخوف رسمت على وجهيهما أثناء نظرها إلى شيء ما على الأرض. وجدت ليلي طفلاً رضيعاً بجانب عجلات سيارتها الفخمة مع رسالة من الأم تقول: «خذ طفلي وأعتني به جيداً». كانت ليلي في حيرة من أمرها: هل آخذ الطفل أم لا؟ صديقها أيضاً كان مصدوماً ولا يعرف ماذا يفعل، أما أنا فلم أفهم الموضوع، لماذا يوضع طفل رضيع بجانب عجلات السيارة! إنه



تكليف مهام

Abbot, Luke. (2010). Mantle of the Expert in New Zealand. *Journal of Drama in Education*. 26, 2, p. 49.

موقف درامي رائع وسياق للتعلم عبر عباءة الخبير أيضاً.

عباءة الخبير في سياق

يشرح أبوت عن عباءة الخبير من خلال المشهد الدرامي السابق (مشهد ليلي والطفلة)، ويقول: «الآن إذا شكلنا فريقاً مسؤولاً، مثلاً فريق من اللجنة الاجتماعية، أو مؤسسة رعاية الطفل، بحيث تكون مهمتها أن تنصح الأم في اتخاذ موقف لحل معضلتها، أو آليات التعامل مع الطفل بعد أن تستلمه من ليلي فيما لو قررت تسليمه إلى مؤسسة رعاية الطفل، عندها تنتقل إلى الحديث عن عباءة الخبير». يتحدث أبوت عن العناصر التالية التي يجب أن تتوفر في أي سياق لكي يتحول إلى خبرة عبر عباءة الخبير، وهذه العناصر هي:

- فريق مسؤول (Responsible team).
- زبون (client).
- التكليف/التفويض (commission).
- المهمة (Mission).

الفريق المسؤول هنا هو المشاركات أو الأطفال في السياق الصفي، وهمهم المشترك في سياق قصة ليلي هو، أولاً: حماية الطفل. وثانياً: حل معضلة ليلي. وقد يمثل الفريق المسؤول مؤسسة ما لديها الخبرة في التعامل مع مثل هذه القضايا، وإمام بقوانين البلد وسياساته، ونظام التأمين والرعاية، وحقوق الطفل والمتبني وواجباته، ما يجعله (أي الفريق) قادراً على المساهمة في حل المشكلة بشكل فعال يرضي الأطراف المعنية. بالتالي، هنا نتحدث عن منهاج، قضايا مدنية، حقوق، واجبات، نصوص في القانون، وقضايا كثيرة أخرى لها صلة مباشرة بالمنهاج، وعلى الطلبة أن يستكشفوها قبل التجربة وخلالها، وبالتالي يجب أن تكون من ضمن تخطيط المعلمة لمثل سياق كهذا.

أما العنصر الثاني، فهو الزبون، والمتمثل بليلى ورسالتها التي تشرح فيها السياق للجهة المسؤولة؛ سواء أكانت مؤسسة رعاية الأطفال أم أية مؤسسة اجتماعية أخرى متخصصة في هذا المجال. والتفويض يكون من قبل مسؤول المؤسسة لفريق الخبراء، بحيث يحددون مع بعضهما المهام المطلوبة.



وكتطبيق على النموذج السابق، يعود أبوت إلى مثال ليلي والطفلة التي وجدتها قرب عجلات سيارتها، ويطلب من المشاركين أن ينقسموا إلى مجموعات مكونة من ثلاثة أفراد، بحيث يتخيل كل فرد في المجموعة أن يكون إما في مكان ليلي، وإما الصديق وإما أبوت في تلك اللحظة. يتابع أبوت، ويقول: «لكي أفهم ما يحدث، علي أن أفهم السياق الثقافي-الاجتماعي في تلك البلد، فالحكومة تتخلى عن مصاريف ومسؤولية أي مولود ثان لنفس الأبوين، ما يجعل العائلات الفقيرة تتخلى عن طفلها وتقدمه لعائلة غنية تتولى أمر مصاريفه. لا بد من الاستكشاف إذاً، وهنا يمكن أن نطلب من الأطفال أن يتعلموا عن المجتمع الصيني. بالنسبة لليلى، هناك اعتبارات أخرى تجعلها مترددة في اتخاذ موقف. كيف نعرف ذلك؟ نحن بحاجة إلى استقصاء عبر طرح الأسئلة على ليلي في موقف درامي؟ هنا على من يقوم بدور ليلي أن يستكشف الحياة الاجتماعية في الصين قبل أن يقوم بهذا الدور. لماذا؟ لكي يستطيع أن يجيب عن الأسئلة المطروحة من قبلكم أو من قبل الأطفال لو افترضنا أن السياق وظف في الصف». بالتالي، فإن الاستكشاف والاستقصاء (Inquiry) حسب أبوت إما أن يكون ما قبل الدخول في الدراما أو عباءة الخبير أو خلالها. فطرح الأسئلة على ليلي من داخل الدور هو سياق استكشافي في الدراما (أي تداخل حلقة الاستكشاف مع حلقة الدراما في الرسم).

وقبل أن ينتقل أبوت إلى الشرح عن حلقة عباءة الخبير، يعود إلى الدراما ويتحدث عن العناصر التالية التي يجب أن تتوفر في أي سياق درامي تعليمي: 1. خيال. 2. أناس. 3. توتر. 4. المكان هو هنا والوقت هو الآن. 5. التأمل. وربما تنضح هذه العناصر إذا تأملنا في قصة ليلي، وكيف أعدنا بناء السياق في القصة ليصبح المكان هنا في هذه القاعة (أو في غرفة الصف) والزمان هو الحاضر، فنحن نريد أن نتخذ قراراً الآن وفي هذه المكان. عنصر التوتر موجود، فليس من السهل اتخاذ قرار بشأن تبني الطفل، فهناك عائلة ليلي التي قد تمتع ذلك، وهناك موضوع ارتباطها بصديقتها ومشاريعهما المستقبلية، وهناك قوانين التبني في الصين التي تجبر الأهل على دفع مصاريف الطفل المتبني طيلة حياته. أما العنصر الأخير، فهو الخيال الدرامي الموجود في القصة، الذي يفعل من خلال الأدوار الدرامية.



■ التمثيلات والمصادر

يتحدث أبوت عن ثلاثة أنواع من التمثيلات (Representations) التي تستخدم في الدراما بشكل عام، ونظام عباءة الخبير بشكل خاص، وهي: أولاً. التمثيل التعبيري (Expressive) ويكون على مستوى الشخص. فمثلاً، في مشهد الأم والطفلة، قامت إحدى المشاركات بدور الطيبة، وقامت المشاركة الثانية بدور الأم، وبالتالي فإن التمثيل هنا جسدي. ثانياً. التمثيل الأيقوني (Iconic): شيء يحمل معنى. فمثلاً، صورة الهلال الملون بالأحمر تعني لشخص فلسطيني شيئاً، ولشخص أجنبي شيئاً آخر. فعندما تضع مشاركة أو طالبة فلسطينية إشارة الهلال الأحمر على صدرها، فهي هنا طيبة. ثالثاً. التمثيل الرمزي (Symbolic) أي اختصار اللغة والإشارات، حيث يمكننا أن نضع تحت رسمة الهلال التي نضعها على صدرنا كلمة «طيب عام». هنا يكون لدينا تمثيل أيقوني ورمزي في الوقت نفسه. وبالتالي، فإن للمعلمة أن تختار المصادر وفق هذه التمثيلات، مصادر بشرية «تعبيرية»، أيقونية - رسومات، أو حتى لغوية بهدف تعليم اللغة أيضاً.

من هنا، فإن معنى المصادر في نظام عباءة الخبير قد جرى عليه تحولان مهمان: تحول في المعنى، أي من تلك العناصر التقليدية مثل اللوح، والأدوات التقنية، والوسائل المتنوعة إلى تمثيلات سهلة المنال. فالكرسي في لحظة ما يتحول إلى حصان، والجسد يتحول إلى وسيلة نقل، والأدوات ترمز برسومات وأيقونات. أما التحول الثاني، فتحول وظيفي؛ أي من كونها معدة مسبقاً من قبل المعلمة، وما على الطالب سوى أن يستخدمها في نشاط ما، إلى كونها معدة من قبل الأطفال أنفسهم وبمساعدة المعلمة، لتصبح جزءاً منهم ومن السياق.

■ نشاطات تطبيقية في عباءة الخبير

عرض أبوت وتيلر نشاطات تطبيقية عدة خلال المساق. وفيما يلي وصف لهذه الأنشطة وبعض التضمينات النظرية المتعلقة بنظام عباءة الخبير. وقد أكد أبوت على أنه عندما يتحدث عن نظام عباءة الخبير، فهو يتحدث عن العناصر الثلاثة: الدراما، الاستقصاء سياق المهمة في عباءة الخبير؛ أي الحلقات الثلاث في شكل 1.

1. النمر الهارب

«بينما كان بعض رجال أهل قرية فيجي في الهند يسيرون على ضفاف النهر وسط الغابة القريبة من القرية لجمع الحطب تحضيراً لاحتفال القرية بعيد الخبير، شاهدوا قطرات دم متناثرة على يسار النهر، وناب غمر ملقى على الأرض وقد تلطخ بالدماء. لم يروا النمر لكنهم تأكدوا من تلك الأخبار عن وجود غمر في المكان يأكل لحوم البشر. ترك الرجال ما في أيديهم من حطب وعادوا مسرعين نحو القرية، وقد بدت على وجوههم علامات القلق والخوف. لاحظ أهل القرية عودة الرجال، وقد بدا أمرهم غريباً، وبخاصة أنهم لن يأتوا بشيء، وبدت علامات القلق تظهر على وجوه الأمهات. إحدى الأمهات

تتفقد طفلها الذي اختفى عن أنظارها، وإحدى الزوجات تبحث عن زوجها الذي اختفى هو أيضاً».

بعد سرد القصة، تحدث أبوت عن بعض المعلومات حول القصة، فالنمر الذي يتذوق لحم البشر يعتاد على تذوقه مرة أخرى. في المقابل، هناك قانون في المنطقة يحظر قتل النمر بسبب عرضتها للانقراض.

نشاطات

طلب أبوت من المشاركين النشاطات التالية:

- «لنرسم الغابة».
- «لنرسم النمر: إما تمثيلاً شخصياً وإما رمزياً (مثلاً استخدام رسمة لناب النمر ملطخاً بالدماء)».
- لنفعل دراما حول الحدث: أنتم هنا أهل القرية تحضرون للاحتفال، بينما أنتم الرجال عائدون بسرعة وتحملون أخباراً غير سارة، وجود غمر يأكل البشر. الأم تسأل عن طفلها المفقود والزوجة تسأل عن زوجها الغائب. أحد الرجال يحمل ناب النمر ويتحدث عن مكان وجوده، لنفعل دراما».
- «الآن أنتم في الهند، وهناك قانون يحظر قتل النمر بسبب الانقراض، لكن في الوقت نفسه من المعروف أن النمر إذا تذوق لحم الإنسان مرة واحدة فسيستمر في صيد الإنسان. أنتم خبراء في تعقب النمر، متخصصون في حجز النمر وعزلها دون قتلها. طلب منكم أهل القرية أن تصيدوا النمر وتعزلوه عنهم. لنفعل عباءة الخبير ولنقرر كيف نصطاده؟ ما هي الأدوات التي نحتاجها؟ على الفريق أن يتعلم عن أدوات الصيد؛ المنظار، الشبكة، المخدر، صنع الأقفاص، . . . الخ».
- «ماذا نفعل بالنمر الآن؟ هنا موقف درامي يعالج توتراً بين أهل القرية وبين الخبراء. فهل نضع القفص في القرية أم في حديقة الحيوان وسط المدينة، أم في مكان ناء بعيد عن الإنسان؟ قرارات على الفريق أن يتخذها بناءً على معرفة عميقة بالسياق، وعليه أن يتعلم من أجل اتخاذ القرار».

2. اليسروع الجائع جداً (The Very Hungry Caterpillar)

طلب أبوت من المشاركين في المساق مشاهدة فيلم كرتوني قصير عن قصة اليسروع (يرقة الفراشة) الجائع، وهي قصة عالمية للأطفال ألّفها أريك كارك. الفيلم الكرتوني لهذه القصة موجود على موقع اليوتيوب على الرابط التالي: <http://www.youtube.com/watch?v=-qoYPLtqqVk>. وتحدث عن يسروع جائع يأكل جميع الخضروات والفواكه في المزرعة، وبعد أن تعب من الأكل، نام في المساء ليجد نفسه في الصباح فراشة ذات أجنحة ملونة وجميلة.

وبعد مشاهدتنا الفيلم، طرح علينا أبوت أسئلة عدة لكي تحيى عنها المشاركات من موقع البالغين، وليس من موقع الأطفال. كان السؤال الأول لنا: ماذا يواجه الفلاح الفلسطيني من مشاكل في عمله



أطفالكم أن يجسدوا المزرعة على الورق كما يعرفونها، وأن يضعوا فيها عناصر مختلفة تجعلها مزرعة حسب مفهومهم . الآن لو قرتم الذهاب في رحلة إلى القرية، ماذا تأخذون معكم، ماء، لباس خاص، قبعات، حذاء من نوع خاص . . . الخ؟ «كيف يمكن للمزارع أن يسقي مزرعته وفي الوقت نفسه أن يقتصد من الماء؟» .

كان أبووت يحاول أن يبني السياق مع المشاركين لكي يتمكنوا من عيش القصة من داخلها، بدلاً من أن يبني سياقاً جاهزاً يطبقه المعلمون أو الأطفال . يقول أبووت: «إن مثل هذه الأسئلة الاستكشافية تجعل الأطفال يفكرون في السياق ويقترحون الأدوات والمصادر ويقرون في أمور يهتمون بها» .

استطاع أبووت في نهاية المطاف أن يبني السياق التالي مع المشاركين، فيرفع أكمامه (ليشير على أنه مزارع)، ويقول:

«أنا مزارع، عندي مزرعة كبيرة من الفواكه والخضراوات . أنا مشهور لأن مزرعتي عضوية، لا أستخدم المبيدات أبداً، كما أنني اقتصد في ري الماء بطرق تكنولوجية عديدة . مشكلتي أن محصولي هذه السنة مصاب بيرقات كثيرة، وقد أخسر المحصول هذه السنة بسببها . أنا لا أريد استخدام المبيدات . هل يمكن لكم أن تساعدوني في حل المشكلة» .

في هذا السياق عناصر عديدة تجعله سياقاً قابلاً للتطبيق ضمن نظام عباءة الخبير . فهناك محاذير اتفق عليها: عدم رش اليرقات، عدم الإسراف في ري الماء، اختيار الحلول للحفاظ على جودة المحصول، وبالتالي سمعة المزارع . هناك أيضاً عناصر قيمة عديدة يتعلمها الأطفال . ينزل أبووت أكمامه (ليعبر عن أنه خرج من دور المزارع) ويقول: «نريد أن يفهم الأطفال أن عليهم الاهتمام بالعالم وأن لا يرشوا المحاصيل الزراعية حفاظاً على البيئة، كيف؟ مثل هذه الإشارات التي في السياق تعلمهم ذلك . نريد أيضاً أن يتعلم الأطفال أن ليس هناك شيء سهل في الحياة، وعليهم أن يسلكوا الطريق الصعب من أجل نيل أحسن النتائج، فما أسهل أن نرش المحصول بالمبيدات، لكن عواقب ذلك على البيئة وعلى الإنسان جسيمة» . بالتالي، فإن اختيار الأدوات والمصادر، والآليات التي تساعد على تنفيذ المهمة أصبحت محصورة ضمن متطلبات السياق . يمكن للأطفال في حال تطبيقهم النشاط أن يرسموا الأغراض، أو

في الزراعة؟ فكانت الإجابات: الحشرات، قلة المياه، صعوبة توزيع المنتجات الزراعية وغيرها من المشاكل . السؤال الذي يليه: ماذا يمكن أن تفعل اليرقات للمزارع؟ وبعد الحديث الجماعي عبر المجموعات كانت الإجابات: اليرقات تؤثر على جودة المنتج، وبالتالي على دخل الفلاح . «هذا ما يجعل من الحدث دراما جيدة» يقول أبووت «نحن نستعين بالقصة، ثم نخترع قصصاً أخرى من مخيلة المعلم للعمل عليها» .

من خلال هذه الأسئلة، حاول أبووت أن يبني السياق الذي ستبني المشاركات فيه تجربة عباءة خبير . والسياس بدأ كالتالي: «فلاح فلسطيني لديه مشكلة وهي كثرة اليرقات في مزرعته، فكيف يمكن أن نساعد الفلاح؟» .

نشاط 1: بناء الاهتمام

يقول أبووت: «على الأطفال أن يهتموا بأمر المزارع، لكن في الوقت نفسه عليهم أن يهتموا بأمر اليسروع، لماذا؟ لأنه إذا لم يهتموا لأمره، فإن جوابهم السريع يكون: أن نقتل اليسروع، أن نرش المحصول بالمبيدات الحشرية، وغيرها من الإجابات التي تقتل الدراما . إذا، كيف نخلق هذا الاهتمام؟» .

طلب أبووت من المشاركات أن تنقسم إلى مجموعات، وأن ترسم رسومات عدة لليسروع، بحيث يحمل كل يسروع صفة من الصفات التالية: غير مؤذ، ودود، سهل التعامل، شره، ماهر . خرجت المعلمات برسومات إبداعية معبرة .

طلب أبووت من المشاركين أن يجروا جولة على الرسومات التي قامت المشاركات برسمها، ودعاهن أيضاً إلى عمل الشيء نفسه مع أطفالهن عن تطبيق التجربة في الروضة . يقول أبووت: «الرسومات تعني شخصيات مختلفة لليسروع، بالتالي تفرض على الأطفال الاحترام والاهتمام والرعاية» .

نشاط 2: البناء التشاركي للسياق - رسم المزرعة

طلب أبووت من المشاركات رسم المزرعة . يقول: «اطلبوا من

آخر، وهنا دخلنا في صراع البقاء». يضيف أبووت: الأطفال لا يستطيعون أن يسألوا مثل هذه الأسئلة، لكن علينا تهئية السياق لذلك، وستمعون الكثير منها».

■ سيناريوهات درامية وليدة اللحظة

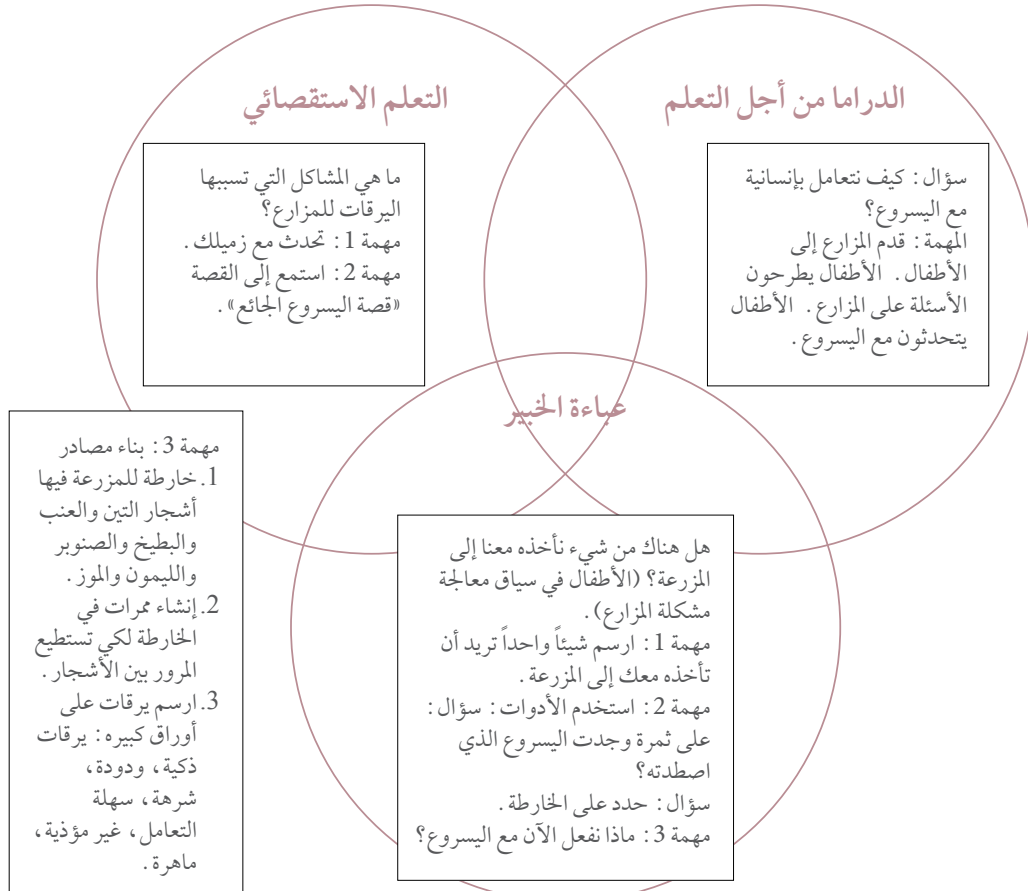
ماذا لو أجمع الأطفال على قتل اليرقات؟ سؤال قاد أبووت إلى المنحى الدرامي من عباءة الخبير. طلب من أحد المشاركين أن يكون هو اليرقة: يقف على رسمة اليرقة الودودة، وأن تقوم المشاركات في دور الخبراء المزارعين في إجراء حوار مع اليرقة. يقول أبووت: «ربما هذا المشهد الدرامي هو أفضل وسيلة لتعليم القيم، الحفاظ على اليرقات، وفي الوقت نفسه التعبير عما يجول في خاطر الأطفال. في النهاية، اليرقة لا تريد أن تموت، بل تريد أن تبقى على قيد الحياة. تتفاوض اليرقة مع الخبراء لقبول حل أمثل. هنا اليرقة تشارك مع الخبراء في حل مشكلة الفلاح».

يمثلها أيكونياً أو حتى رمزياً؛ مثلاً: شبكة كفافازات، حاويات فيها متنفس وغيرها من الأدوات. يقول أبووت: «سياق يولد الممارسات ويؤطرها، فالأطفال هنا يتخيلون، يتعلمون عن الأدوات الأنسب لتحقيق الهدف، يفكرون بالآليات والطرق التي تحقق المهمة».

السؤال الأكثر إثارة في هذا السياق هو ماذا نفعل باليرقات التي قمنا بتجميعها؟ يقول أبووت: «لقد قمت بهذا النشاط مع الأطفال أكثر من مرة وفي أماكن مختلفة من العالم، وفي كل مرة يخرج الأطفال بأفكار ذكية: مرة اقترحوا عمل مزرعة من الفراشات، وهنا أدخلنا عباءة خبير جديدة في سياق كيف نبني مزرعة فراش للسائحين؟ بعضهم اقترح أن نرسلها إلى القمر، كيف؟ هل تستطيع الفراشات أن تعيش على القمر؟ هنا دخلنا في علوم الجاذبية، وطريقة إرسالها إلى القمر. الأطفال في سن الرابعة يسألون أسئلة رائعة لا يعرفون أنها من المحرمات مثل: لماذا خلق الله اليرقات؟ بعضهم فكر في إطعامها للسمك، وهنا عدنا إلى مبدأ القتل، لكن من أجل إحياء مخلوق

رسم تيلر هذه الدوائر الثلاث (شكل 2) وبدأ يشرح عن فكرة عباءة الخبير وتقاطعها مع الاستكشاف، والدراما من خلال قصة اليسروع

تزحف اليرقات على أوراق مزروعات المزارع، وتسبب مشاكل كثيرة بأكلها الأوراق والثمار



3. جاك وحبّة الفاصوليا

جاك لكي يستفسروا منها عن بعض المعلومات التي تهمهم، وبخاصة تلك التي تبدو مبهمة في الصورة. كانت أسئلة المشاركات لها:

«من أنت؟ من تلك التي في الصورة معك؟ من هذا الشخص الذي في الصورة؟ هل أنت حامل؟ إلى ماذا تنظرين؟ هل دمر الساق بيتك؟ هل تستطيعين إصلاحه؟». وبالافتقار مع أبوت مسبقاً، كانت إجابات المشاركات على النحو التالي: «أنا أم جاك، هذه جارتي الحشورة، وهذا متعهد البناء الذي يفحص البيت. أنا حامل، وبيتي الآن مدمر بسبب جذع الفاصوليا هذا، كل شيء مدمر، غرفة النوم، الحمام، غرفة الجلوس. هناك ثقب في سقف الغرفة، والأمطار تدخل إلى البيت. وأنا فقيرة لا أستطيع بناءه من جديد».

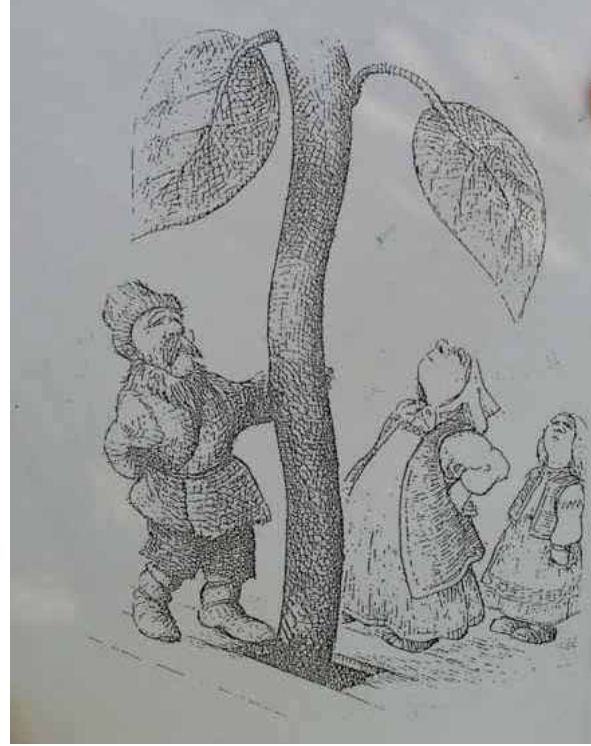
نلاحظ هنا طريقة أخرى لعملية بناء السياق. فبالإضافة إلى الأسئلة التي اتبعتها كاستراتيجية في بناء سياق اليسروع والمزارع، استطاع أن يبنى هذا السياق من خلال الصورة، وعبر أسئلة المشاركات من خلال مشهد الدراما الاستكشافي.

ينتقل أبوت إلى مهمة ضمن عباءة الخير. فهو الآن مقال كبير أو صاحب شركة لترميم البيوت القديمة، ولديه فريق من الخبراء (أي المشاركات أو الأطفال)، وقد أولى هذا المقال مهمة استكشاف البيت إلى الفريق وتحديد أماكن الخراب والخروج بتكلفة نهائية لترميم البيت. يقول أبوت: «علينا إنجاز المهمة وتصليح البيت قبل أن تلد أم جاك».

يعنى ذلك أن هذا السياق يتطلب من الأطفال أن يتعرفوا على أدوات الترميم، وأدوات جمع الملاحظات، من قلم وورقة، بالإضافة إلى إجراء عمليات حسابية (في مرحلة عمرية أكبر) لتحديد تكلفة إصلاح المنزل.

بعد أن حدد الخبراء (المشاركات) تكلفة ترميم منزل باستخدام الأدوات المناسبة، طلب المقال (أبوت) من الفريق عقد اجتماع طارئ ليخبرهم عن أمر ما.

المقال: «لدي أخبار سيئة، فأمر جاك لا يستطيع إلا أن تدفع 500



شكل 3: جاك وحبّة الفاصوليا. صورة عرضت في مساق

عباءة الخير، آب، 2010

تعرف جميع المشاركات قصة جاك والفاصوليا. بدأ أبوت النشاط بعرض الشكل رقم 3 على المشاركات وطرح الأسئلة التالية:

«لننظر إلى هذه الصورة. ماذا تشاهدون؟ هل هناك شيء غريب؟» (اختار إحدى المشاركات) . . . لتكن أنت أم جاك التي في الصورة، سنطرح عليك الأسئلة. (يقوم المشاركون بطرح الأسئلة على الدة





مقابل مبلغ مقطوع من المال؟».

هنا دخل المشاركون في رحلة عباءة خبير جديدة، تتعلق ببناء مكان سياحي يجذب الزوار بكل المصادر والوسائل المطلوبة من دعاية وإعلان، وتنظيم داخلي، وعمال، . . . الخ .

يتحدث أبووت عن السياق ويقول: «لاحظتم أن هناك عناصر توتر كثيرة في السياق، المرأة لا تستطيع دفع أكثر من 500 دولار في الشهر، العمال لا يستطيعون العمل دون أجر فهم يريدون إطفاء أولادهم، والمتعهد لا يستطيع جلب أموال لمساعدة المرأة، والمرأة حامل وتريد أن تلد قريباً». يضيف أبووت: لاحظتم أن النقاش مع أم جاك قد طال دون جدوى، لكن عندما ذكر أحدكم كلمة الشجرة، بدأت تظهر البدائل. أنتم ذكرتم شجرة، أنا (كمعلم) ذكرت السياح، هكذا بنى التعلم والموقف والسياق سوية (Co-construct).

في نهاية النشاط، يطلب أبووت من المشاركين توزيع المهام التي قاموا بها في نظام عباءة الخبير الثلاثي: دراما، استقصاء، عباءة خبير، وإيجاد الأنشطة التي تقاطعت مع بعضها البعض. فمثلاً، المشهد الذي سأل فيه المشاركون أم جاك أسئلة متنوعة لتحديد السياق كان نشاطاً في تقاطع مع حلقة الاستقصاء والدراما، بينما المشهد الذي تحدث فيه المقاول مع الخبراء عن عدم تمكن أم جاك من توفير المبلغ، واقتراح بدائل يتقاطع مع الدوائر الثلاث، أي دراما، استقصاء، وعباءة خبير. شكل 4 يوضح توزيع المهام في نظام عباءة الخبير.



دولار في الشهر، والمبلغ الكلي الذي حددتموه هو 50 ألف دولار. ما رأيكم أيها العمال؟ هل توافقون أم ترفضون؟ تذكروا أن رواتبكم تأتي من هذا المشروع».

دار نقاش بين فريق الخبراء، فبعضهم رفض الاقتراح، لكن البعض الآخر كان مهتماً بأمر أم جاك وقلقاً من أن تلد في بيت ظروفه لا تسمح بالعيش فيه. البعض اقترح أن تحصل علي قرض لتدفع المبلغ كاملاً للخبراء، بينما تقسطه هي إلى البنك شهرياً.

عندها تدخل أبووت واقتراح الآتي: «ما رأيكم أن نقابل أم جاك ونعرض عليها فكرة الحصول على قرض من البنك».

وبعد حوار طويل مع أم جاك، تبين أنها لا تستطيع اتخاذ أي إجراء سوى دفع المبلغ المعروض عليهم سابقاً؛ أي 500 دولار شهرياً. بالطبع هذا المبلغ كان غير مقنع لا للفريق ولا للمقاول. البعض اقترح على أم جاك بيع البيت، لكن لا أحد يريد أن يشري بيتاً بهذه الحالة.

بقيت الأمور عالقة بين الخبراء وأم جاك، لا يريد أحد أن يتنازل لأن السياق لا يحتمل التنازل، بل التفكير في حلول إبداعية بديلة. ولم تنفجر الأمور إلا عندما سأل أحد المشاركين أم جاك: كيف حدث هذا، كيف نمت الشجرة، إنها غريبة وعجيبة». عندها تدخل المقاول (أبووت): نعم، إنها أغرب شجرة في العالم. ما رأيك أن نرمم لك البيت وأن تعطينا الصالة لفترة من الزمن لكي نفتحها أمام السياح



شكل 4: نظام عباءة الخبير في سياق قصة جاك والفاصوليا

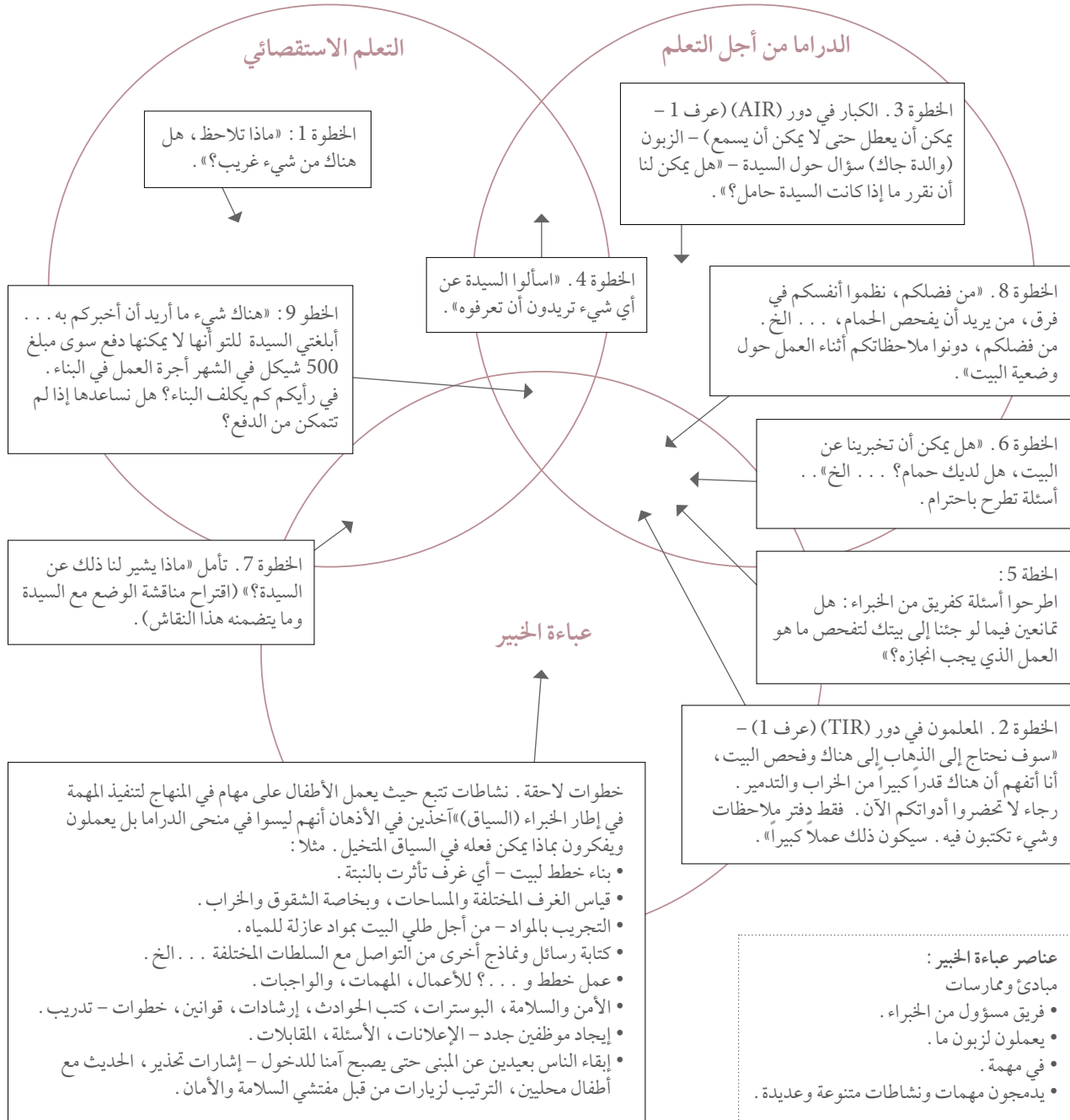
تستيقظ امرأة في الصباح لتجد ساق الفاصوليا نمت عبر أرضية بيتها واخترت سقف دارها. تنظر من حولها لتبحث عن فريق من الخبراء البنائين لمساعدتها.

عناصر الدراما:

- الناس منخرطون في الحدث.
- يحدث الآن.
- جرعات من التوتر.
- تشكل وجهات نظر مختلفة.

عناصر الاستقصاء:

- يجري التعلم بالتعاون مع الأطفال.
- تخلق الفرص للأطفال لطرح الأسئلة وللمساهمة في الأفكار والمحتوى.
- التعلم هو فرصة للبحث، حيث يستكشف الأطفال المنهاج بدعم المعلم وإرشاده.
- التعلم مبني حول أسئلة استقصائية متعددة ومتنوعة.
- تخلق الفرص للتأمل والتقييم.



4. شجرة الزيتون القديمة: عباءة الخبير في السياق الفلسطيني

الجزء الأول: التخطيط والتطبيق

تم تطوير السياق التالي من أجل تطبيقه مع الأطفال في اليوم التالي . بدأ النشاط عندما عرض أبوت صورة لشجرة زيتون قديمة وكبيرة صورها عندما ذهب إلى قرية نعلين قضاء رام الله .

السياق: «تواجه شجرة زيتون قديمة بعد أن ظلت أكثر من ألف سنة توفر للسكان المحليين زيتونا وزيتا وللحيوان مأوى، تواجه احتمال اقتراب مركبات كبيرة من منطقة نموها . وقد تم توسيع الطريق المختلف عليها بالتدرج لنقل مركبات ثقيلة تستخدمها منظمات طبية متطوعة من وإلى المناطق المحيطة بالقرية، التي تقع على الطرق المتاخمة لأرض كبيرة مزروعة بأشجار الزيتون، حيث تعيش الشجرة القديمة حالياً، وذلك لبناء مستشفى . وأولئك المهتمون بالشجرة - كبار السن، المزارعون المحليون، تجار السوق (الذين يبيعون بضاعتهم تحت ظلها)، المزارعون المتخصصون بزراعة أشجار الزيتون وأطفال المدرسة المحليون (من يستمعون في أغلب الأحيان إلى قصص عما حدث تحت أغصانها القديمة) بدأوا يلاحظون تغيرات في المنطقة المجاورة للشجرة.»



لكن ما الذي يجعل أطفال في 4-6 سنوات من العمر يهتمون بشجرة قديمة، مغبرة ليس فيها أي عنصر جمالي؟ هنا، يذكر أبوت أن العنصر الذي يجب أن يتوفر في أي سياق تعليمي مهما كان هو الاهتمام، بالتالي، على المشاركات أن يوفرن عنصر الجذب، والانتباه، ومن ثم الاهتمام، لكن كيف؟

يتحدث أبوت عن بعض الأنشطة التي يمكن أن تحقق جذب اهتمام الأطفال، وهي كالآتي:

- قصص: مثلاً قصص الشجرة القديمة كما تُسمع من ذكريات راع طاعن في السن، حيث يتذكر الشجرة وحببات الزيتون الرائعة التي تنتجها.
- استكشاف: في فترة الإهمال، لماذا واصلت الشجرة القديمة العيش بينما ماتت الشجرات الصغيرة؟ هل بفضل جذورها العظيمة؟ متى وكيف بدأت تُزرع أشجار الزيتون الجديدة؟
- استكشاف شجرة الزيتون من حيث أهميتها للاقتصاد، الصناعة، الغذاء، للبيئة، الرابط العاطفي، . . . الخ.
- أغان وأناشيد وشعر عن شجر الزيتون.

الأهداف المتعلقة بالمنهاج: ماذا نريد أن نعلم؟

- قيم: المحافظة على أشجار الزيتون، والاقتصاد بالماء، ورعاية النبات.
- معارف في المنهاج: موسم زراعة الزيتون، أهمية شجرة الزيتون، طبيعة شجرة الزيتون، الطقوس، . . . الخ.

قضايا يجب الاتفاق عليها:

- نحن حريصون جداً على استخدام المياه . لا نسكب قطرة ماء أكثر من المعتاد على الإطلاق ولا نهدر المياه .
- نحن حريصون جداً على استخدام المياه بحكمة - كل قطرة . الحنفيات محفوظة بحالة جيدة . خراطيم المياه يتم فحصها للتأكد من عدم وجود فتحات وثقوب . نحن نسقي محاصيلنا بتناوب صارم، ولدينا تفاصيل كل منطقة لأي يوم من الأسبوع .
- أوعية المياه مسيطر عليها بشكل صارم وجميعها من الحجم نفسه، ما يعني أن علينا أن نستخدم لغة مثل ممتلى، شبه ممتلى، نصف ممتلى، ربع ممتلى .
- معاولنا، مجارنا، مذارنا (الكبيرة منها والصغيرة) وسكاكين التقليم (لها شفرات حادة ومعقوفة من الأمام)، يستخدمها كل شخص، وبالتالي يمكن أن يمتلكها الجميع . هي نظيفة وتُعاد مع نهاية كل يوم إلى المخزن . عرباتنا تُعامل أيضاً بالطريقة نفسها .
- نحن لا نسير أو نشغل عرباتنا فوق المحاصيل عبر طرق قصيرة وسريعة - فداً ما نلتزم بالمسارات والطرق المحددة .
- نحن نتجمع حول الخارطة كل أول يوم من كل أسبوع لتحديد العمل الذي يحتاج إلى إنجازه ومن يقوم به . فالقطاف، والتعبئة، والنباتات الجديدة، والتقليم والتشذيب تعني جمع الأطباق، إعادة زراعة النباتات وإنتاج الأشتال . وسوف تحتاج الأرض إلى حرث وإزالة الأعشاب الضارة باستمرار .

الأغراض والمصادر:

- أشتال زيتون تحتاج ربما إلى وعاء واحد (أو الطفل يحدد هنا) .
- حاويات ري: بئر أثرية قديمة .
- خريطة المنطقة التي ستزرع فيها الأشجار، بالإضافة إلى موقع الشجرة الرومانية القديمة .
- الأدوات .
- صور للخضار التي يمكن أن تزرع تحت شجر الزيتون .
- اختيار جمل، أغان، . . . الخ أثناء زراعتك للأشبال (طقوس) .

- بعض جذورها وسيقانها لكي تستطيع الشاحنة المرور بسلام. (على الأطفال أن لا يشعروا بأن السائق عدو، بل لديه تحدٍ وعليهم مساعدته دون المساس بالشجرة).
- ماذا تريد الشاحنات أن تفعل؟ بناء مستشفى، وهو عمل جيد. (حوار بين الطلبة والسائق. السائق الآن ليس عدواً بل في مهمة إنسانية أخرى. الأطفال الآن مهتمون بأمر السائق).
- كيف نساعد؟ (هنا تبدأ عباءة الخبير)
- هل تعلم العجوز التي تجلس تحت الشجرة أن سائق الشاحنة يريد قطع جذور الشجرة؟ دعونا نخبرها (دراما).
- هل نحضر العجوز لتتحدث مع سائق الشاحنة أم يأتي هو إليها؟ (الأطفال يختارون أن يأتي هو إليها).
- ماذا نفعل الآن؟ ماذا ننصح سائق الشاحنة؟ الأطفال يختارون البدائل (بعضهم اقترح أن يمر من طريق ثانية، والبعض اقترح أن يتخذ السائق طريق ما وراء الجبل).
- دعونا نتحدث مع السائق ونعرض عليه هذه الاقتراحات (دراما وعباءة خبير).
- هل الشاحنات كبيرة، افحصوا (المشاركات يشكلن مجسمات لشاحنات كبيرة) (مهمة عباءة خبير، دراما).
- دعونا نستمع للشجرة وهي تسرد قصصها وأسرارها (دراما).

الجزء الثاني: تأملات في التجربة - دروس نتعلمها من الأطفال

- بعد انتهاء العمل مع الأطفال، اجتمعت المشاركات مع أبوت وتيلر لتقييم التجربة والتأمل بمجرياتها. هذه مقتطفات من حديث أبوت حول التجربة في الجلسة التأملية:
- «كان همي طيلة الوقت أن أفكر كيف أبني رابطاً مع الأطفال، كيف أثير اهتمامهم من البداية، وكان هذا من أصعب الأمور. لاحظت أنني استخدمت كلمة «أصدقائي، أنا صديقتكم، من يساعدي، نريد أن نفاجتهم، إن الأشغال هدية لهم».
- «واجهنا صعوبات، بعض الأطفال الصغار في منتصف التجربة بدأوا يلعبون: هذه إشارة منهم لي «هذا يكفي، أخذنا ما يكفينا»، لكن الأكبر سنًا كانوا أكثر اندماجًا».



- بحاجة إلى ملصق يضع القوانين والاتفاقيات السابقة حول الزراعة والماء.
- بحاجة إلى أناس: سائقي شاحنات، امرأة مسنة.
- رجل متعهد.
- عالم مهتم بشجرة الزيتون الرومانية.
- صورة شجرة رومانية.
- أناس يمثلون شجرة الزيتون عندما تتكلم.
- بطاقات لتسجيل أسماء من يستعير الأدوات.

وتتلخص الفعاليات التي قام بها أبوت والمشاركات مع الأطفال في الخطوات التالية:

- عالم مهتم بشجرة الزيتون، أخذ أعرف منها وزرعها لتصبح أشتلاً لكي يعيدها إلى «زارعي الزيتون» لكي يزرعوها. يظهر العالم من بعيد وينادي الأطفال لكي يساعده في نقل الأشغال بعناية وتوزيعها على المزارعين (المعلمين المشاركين).
- يتم خلق رابط بين الأطفال والمعلمين. فالأطفال لا يعرفون المشاركين ولا يعرفون العالم، فما الذي يجعلهم يهتمون بالحديث معهم؟ هذا الرابط يأتي من خلال اللغة؟. علينا أن نحرص على استخدام اللغة الجسدية والمحكية لتسهيل عملية تحقق الرابط بين الأطفال والعالم والمزارعين.
- هناك أدوات يجب استخدامها (وهنا فرصة للتعلم عن الأدوات بأسمائها العلمية).
- هناك فرصة لتعلم الكميات والأحجام عبر تحديد كميات المياه لسقاية الأشغال، أخذين بعين الاعتبار قوانين استخدام الماء التي قد سنوها.
- دعوة الأطفال إلى القرية (الوقوف على الخارطة) والطلب منهم أن يعينوا موقع الشجر الذي غرسوه (هنا فرصة لاستكشاف الخارطة).
- صوت شاحنة من بعيد، الصوت يقترب، سائق الشاحنة ينزل، يلبس أدواته (قفازات، حذاء من نوع خاص، قبعة عمال، كلها مرسومة كأيقونات، وعلى من يأخذ الدور أن يلبسها تمثيلاً).
- سائق الشاحنة يتفحص الطريق وهو يتحدث بصوت مسموع. السائق مستاء من تلك الشجرة الكبيرة والقديمة والتي تعيق الشاحنة من المرور، هو لا يريد أن يقطعها، بل يريد أن يقص





م 4: «قامت الطفلة بالحفر بالفأس، ثم فضلت استخدام يديها بطريقة رائعة لإزالة التراب، وبعد الزراعة طمرتها بالتراب وبلدته».

م 5: «الطفل الذي كان معي تردد في زراعة الشتلة. لم يعرف شيئاً عن الزراعة، لا يريد أن يضع الشتلة في التربة ويواري عليها التراب. علمته بأن يضع التراب على الجذور فقط، ونسقيها قليلاً من الماء يومياً. أعتقد أنه تعلم شيئاً جديداً.»

أبووت: «نعم أنت علمته شيئاً جديداً لن ينساه أبداً».

أبووت: «أنا طفلي عندما سألته كم كوباً من الماء نضع على كل شتلة من الشتلتين اللتين كانتا معه، قال «هذه نصف كوب، بينما هذا كوب واحد». وعندما سألته لماذا قال «هذه ضعيفة، أوراقها قليلة، بحاجة إلى ماء أكثر، بينما هذه جيدة وبحاجة إلى نصف كوب». رائع، تمنيت لو ابنتي تعلمت بهذه الطريقة. لم ألاحظ أن بعض الأشتال كانت ضعيفة، وبما أنني أنا الذي زرعناها تأسفت له وقلت له بأنني سأعيد لها لكي اعطني بها مرة أخرى. عندها ناديت جميع الأطفال، وقلت لهم إنه من لديه نبتة ضعيفة سأعيد لها واعتني بها أكثر، وطلبت منهم أن يعيدوا الأشتال التي يعتقدون أنها ضعيفة إلى الشاحنة. عندما سألت بعضهم لماذا تريدون إرجاع هذه الأشتال، قالوا: هذه مائلة، قلت «تقصدها متعرج»، والآخر قال «هذه أوراقها صغيرة». طفلة لم تستطع تحديد ما إذا كانت نبتتها ضعيفة إلا عندما قارنتها مع النباتات الضعيفة التي حددها الأطفال».

الدرس الثالث: مقابلة المرأة العجوز

- «الصال الذي لبسته المرأة العجوز كان معقوداً، لو أبقته غير معقود لبقيت صبية، لكنها عقدته، فأصبحت امرأة عجوز. بكل هذه البساطة تستخدم الإشارات لعمل دلالات يندمج معها الطفل مباشرة. كل ما نحتاجه إذاً للحصول على امرأة عجوز هو عقدة».
- «رأيتم كيف وضعت العجوز يديها على رأسها عندما سمعت من الأطفال نبا الشاحنات وقطع الشجر».

الدرس الرابع: مجيء سائق الشاحنة لمقابلة العجوز

سألتهم: هل تريدون أن تأتي العجوز للسائق أم يأتي هو إليها؟ سؤال طرحه أبووت على الأطفال خلال النشاط حيث اختار الأطفال أن يأتي السائق إلى العجوز. يسأل أبووت المشاركين خلال النقاش:



- تذكرون تلك الطفلة التي كانت تلعب بعدسة المكبر ولم تشارك معنا. بإمكانني أن أخذ العدسة منها وأقول لها انتبهي، لكن لا يوجد رابط بيني وبينها، فأنا رجل غريب، وفعل ذلك سيكون عنفاً أو تنمراً. كنت أعرف أن الطفل يفكر بـ «الأنا»، وعلي في هذه اللحظة أن أجعلها تفكر بـ «نحن»، هنا طلبت منها أن تستخدم العدسة في فحص مدى كبر عجلات الشاحنات، فوافقت مباشرة، وذهبت لتفحص وعادت لتخبر المجموعة بكبر حجم الشاحنات».
- تذكرون طفلاً آخر كان يتحدث مع زميله. هو يفكر في «الأنا» أيضاً وليس «نحن»، هنا أعطيت دوراً: أن يقف فيه بجانب جذور الأشجار، وأن يرفع يديه لكي يشير للشاحنات إلى الطريق الذي يجب أن تسلكه لتجنب الجذور. الطريقة التي اتبعتها مع هذا الطفل هي أنني رفعت يدي ووجهتها نحو مرمى نظره، وعندها انتبه إلي. أريده أن يتقن بي ولو للحظة واحدة».
- «لاحظوا أنني لم أمر الأطفال بشيء، هم فعلوا ذلك بشكل إرادي، هم شاهدوا أنني بحاجة إلى مساعدة في رفع الأشتال لأن عددها كبير، هم الذين شغلوا الشاحنة، هم حضنوا شجرة الزيتون لكي يحموها. فهذا كان درساً في الدراما مليئاً بالخبرات التعليمية».

دروس الدراما في هذا السياق

الدرس الأول: عندما ارتبط الأطفال مع أبووت في موقع الشاحنة ونقل الأشتال.

الدرس الثاني: عندما قدم الأطفال الأشتال للمزارعين، فقد جاءوا لكي يقدموا لهم مفاجأة. يقول أبووت: «لقد استقبلتموهم بحرارة، طلبتم منهم المساعدة في غرسها، وهنا كان التعلم».

سأل أبووت عن الدروس التي تعلمها الأطفال حول الزراعة (المنهاج)، فكانت إجابات المشاركات على النحو التالي:

- معلمة (م 1): «عملوا دائرة حول الشجرة بعد زراعتها».
- م 2: «قاموا بإزالة الأعشاب أولاً».
- م 3: «الطفلة التي كانت معي وضعت الماء في الحفرة قبل وضع الشتلة. أظنها تعرف أصول الزراعة».



تقييم التجربة

يقول أبووت: «كل هذا يجعلني القول إن التجربة كانت ناجحة. خمسة دروس في الدراما وعباءة الخبير. وما جعلها ناجحة توفر العناصر التالية: 1. خيال: جميعنا قلنا للأطفال تخيلوا في الوقت المناسب وليس تظاهروا. 2. أناس: هناك أشخاص حقيقيون ومتخيلون في القصة. 3. توتر: عنصر التوتر عالٍ: أولاً، سائقو الشاحنات ليسوا أعداء، بل يريدون إنجاز مهمة إنسانية وهي بناء مستشفى في القرية، أو قرية مجاورة، وما نريده مساعدتهم دون المساس بالأشجار. 4. الوقت هو هنا والآن. 5. التأمل كان دائماً حاضراً. الشجرة كانت تقف في الخلف تراقب ما يحدث. الشجرة هي امتداد للتاريخ، والأحجار من حولها كانت منذ آلاف السنين، الشجرة لديها قصص، وكذلك العجوز. لأول مرة يقوم الأطفال بمسرح: الشجرة موجودة وتتكلم، المرأة العجوز كانت في الأسفل تتحدث مع الأطفال، كانت تلك لحظة مسرح خاضها الأطفال لأول مرة في حياتهم».

التخطيط للتدريس عبر عباءة الخبير

يتحدث أبووت عن ثلاثة نماذج متبعة في التخطيط لحصص عباءة الخبير:

- التخطيط الخطي: كأن تقرأ قصة أمام الأطفال، تجلس على السجادة، وتطرح أسئلة عليهم بعد قراءتها، ثم الطلب منهم أن يختاروا كلماتهم ورسوماتهم المفضلة، . . . وهكذا.



«لماذا سألتهم ذلك؟ أعرف أن هناك موازين قوى. أحد الأمور التي أخجل منها كيف أن الرجل يقهر المرأة، وأعرف كأستاذ أن العالم غير عادل، فهناك معلم/ طفل، رجل/ امرأة، إسرائيل/ فلسطين، بالتالي سؤالي كان نابعا عن معرفة. سؤالي هو سؤال إدوارد يوند: الإخلال بهذه المنظومة في مسرحيته كيف يعمل العالم. إذا، من خلال الدراما، فإن الأطفال يحضرون الرجل إلى المرأة، وهم مسؤولون عن قرارهم ولهم الخيار في ذلك أيضاً».

الدرس الخامس: مشكلة الشجرة القديمة والطريق

دار الحوار التالي حول موضوع الطريق:

كانت هناك مشكلة في الخارطة، خارطة القرية، لم أنتبه إلى عرض الطريق فكانت عريضة بما فيه الكفاية لتمر الشاحنات. هذا خطأ من أخطائي. كذلك كانت هناك طرق أخرى فكر بها الأطفال: الالتفاف حول الجبل. ولولا براعة سائق الشاحنة في الإجابة بأن الشاحنات ثقيلة ولا تستطيع المرور من الجبل وأن أسهل طريق لها هو من تحت الشجرة، لأخذ الموضوع مساراً آخر. أعتقد أن التوتر كان مؤسلاً له بشكل جيد.

مشاركة: «الطفلة التي عملت معي قالت: «دعنا نبني جسراً». كانت خجولة ولم تقل ذلك بصوت مرتفع».

أبووت: «خسارة، كنت أنتظر هذا، كان يمكن أن يكون درساً في عباءة الخبير. دورك كمعلمة أن تنقلي ما قالته الطفلة للجميع كأن تقولين مثلاً: «هناك فكرة من (س) أن نبني جسراً . . . ما رأيكم؟».



لبناء مثل هذه العيادة: المدينة، القرية، الغابة، المزرعة؟ يقول أبوت: «تحديد المكان له دلالات وتوابع على التجربة، فإذا كانت العيادة في القرية مثلاً؛ أي بعيداً عن معظم الناس، بالتالي نحتاج إلى خارطة للقرية تصف موقع العيادة، وبحاجة إلى بوسترات على الطرق تدل الزائرين على المكان، وربما نحتاج إلى مكان صغير مقارنة مع المدينة».

ويضيف أبوت: «قد تقولون أن هذا صعب على الأطفال، لكن في الحقيقة، هو ليس صعباً عليهم أبداً. حرر أطفالك وأطلق خيالهم، وعودوهم على أن يسألوا، لا أن يطلبوا الإذن فقط. نحن دائماً في مواقف طلب الإذن من الإسرائيليين. هناك فرصة للأطفال لكي يتحرروا».

1. آليات الجذب: صورة حصان مريض في إسطنبول، طريقة الحديث معهم واللغة المستخدمة، حركات الجسد، الإيماءات. يقول أبوت: «تذكرون أنني جلست على الأرض مع الأطفال بالأمس، وكنت في مستوى نظرهم. أنا أحاول أن أجذبهم. الكلمات التي استخدمتها لها أثر. قلت: «هيا نساعدهم، مفاجأة وهي لغة للجذب».

لكن هناك عناصر جذب أخرى، تسمى الخيال الدرامي (The dramatic imagination). انظر إلى الجدول التالي:

Silence صمت	Sound صوت
Stillness ثبات	Movement حركة
Dark العتمة	Light الضوء

يقول أبوت: «تذكرون عندما قلت للأطفال: «تسمعون صوت الشاحنة»، كان هناك صوت، ولحسن الحظ ارتبط هذا الصوت بالشاحنة وبسائقها. تذكرون أيضاً أنني همست



• تخطيط المشهد الطبيعي (Landscape Planning): وهنا علينا التفكير في السياق (مثلاً، حماية النمر من الانقراض، المزارع الذي يريد أن يحمي مزرعته من البرقات، . . . الخ). على المعلمة اختيار السياق الذي يجذب اهتمام الأطفال. وتلي خطوة السياق تحديد الأهداف؛ أي الإجابة عن السؤال: ماذا نريد أن نعلم من السياق؟ قيم، مثل الاهتمام، النظافة، الصدق، إتقان العمل، . . . الخ، أو مواضيع في الجغرافيا، التاريخ، العلوم، أو مهارات مثل استخدام أدوات مثل القفص، منظار، الفأس، . . . الخ). يقول أبوت: «ربما يسألك طفل في قصة النمر الهارب أننا نريد منظاراً لنرى النمر، هنا إما أن ترسميه أو تحضره مسبقاً لكي يجربوه. وقد يسألونك كيف يعمل، تقولين: دعونا نجرب، من يريد أن يعرف أكثر عنه؟ وهكذا . . . أسئلة وأسئلة ومن ثم أسئلة، كلها تتجه نحو البحث والاستقصاء». والخطوة التي تلي في هذا النوع من التخطيط هو عمل تقاطعات بين حلقات نظام عباءة الخبير؛ أي بين الدراما، والاستقصاء، وعباءة الخبير.

• التخطيط التقني: يقول أبوت: «اليوم نحن لا نتحدث عن هذا التخطيط ولا نريده أبداً في تعليمنا، ففي هذا التخطيط أنت تبدأ بدرس ثم درس آخر ثم نشاط ثم امتحان. هذه طريقة مثلى لخلق طفل مطيع أو جنود من الأطفال فليس هناك مساحة لكي يستكشف الطفل ويسأل ويفكر ولا مجال لنا كمعلمين أن نبنينا خططنا في ضوء أسئلته».

الخطوة الجيدة في نظام عباءة الخبير حسب أبوت هي التي تقود إلى:

1. الجذب/الجاذبية (Attraction)
2. الانتباه (Attention)
3. المنفعة (Interest)
4. الحافز (Motivation) (بالإضافة إلى الانخراط والانشغال Engagement حسب دورثي هيثكوت).
5. شاغل البال/الألوهمة أو مبعث الاهتمام (Concern)
6. الاستثمار (investment)
7. الاستحواذ/الهوس (Obsession).

مثال: التخطيط لمستشفى أو عيادة للحيوانات

إذا أردنا أن نخطط لتجربة عباءة خبير مع الأطفال حول عيادة لعلاج الحيوانات المريضة، علينا أولاً تحديد السياق: أين هو أفضل مكان





الأطفال أكثر، بالدجاجة أم بالمزارع؟ هذا سر من الأسرار عليكم اكتشافه».

6. الاستثمار: سيطر الأطفال أسئلة كثيرة، ويجدون أجوبة لأستلثهم، وهناك أسئلة ليس لها إجابة.

7. الهوس: سيذهب الأطفال إلى البيت وكل معه قصة، سيخبرون الأهل عمّا رسموه اليوم، وعمّا فعله زملاؤهم، . . . الخ.

من هنا يقول أبووت إن الخطة الجيدة هي التي تجعل المعلمة و/أو الطفل: 1. يجرب ويخطئ. 2. تكون فيها المرونة الكافية لتتعلم المعلمة من الأطفال. 3. تعلم الأدوات، وتجعل الأطفال يبنونها بالخيال والفن. 4. وأخيراً يجب أن تكون في الخطة إدارة مميزة.

وبخصوص الإدارة، يقول أبووت: «في حالة أن ضحك طفل، نقول: من يريد أن يضحك فليبق مكانه ولا يشارك. لكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك، فإذا وقف طفل فجأة بعد أن كان جالساً في مشهد درامي، فإن علي كمعلمة أن أدرك بأن هناك تغييراً في مسار الدراما. تذكر كيف وقف اليسروع (عندما وقف الشخص الذي يلعب دور اليسروع) عندما توجهنا إليه وقلنا له إننا بحاجة إلى التخلص منه، هنا أدركت أنه غاضب، فسألته: لماذا غضبت؟ هل أنت خائف؟ ثم قلت للجميع: دعونا نساعد. هذا نوع من الإدارة الذكية للموقف الدرامي. أما إذا بكى الطفل، فهذا يعني أنه دخل الدور، وأنا أريد الذكور بالذات أن يبكوا لكي يخفف العنف في العالم».

الفن يساعد على إعادة بناء الواقع من أجل التعلم

يعقب تيلر على المقولة السابقة نستطيع أن نختار العناصر الأساسية في قصة ما، لكن في ثناياها نستطيع أن نضيف ونبدع. مثلاً، إذا تناولنا قصة ليلى الحمراء، فهناك خطوات معروفة في القصة: ليلى تذهب إلى الغابة، يلقاها الذئب، يسبقها إلى بيت جدتها، تأتي ليلى إلى بيت جدتها، يظهر الأب لكي يساعدها. يقول تيلر إن بين كل من هذه الخطوات الأساسية مساحة للتخيل، فمن الممكن أن تذهب ليلى إلى

لهم «أن أصدقائي لا يعرفون عن الأشغال». يقول أبووت إن الصوت علامة من العلامات، ويستخدم في الخيال الدرامي كذلك الحركة والثبات، فشجرة الزيتون الرومانية القديمة الممثلة بالمشاركات اللواتي لم تتحركن بتاتا طيلة فترة التجربة مع الأطفال هي عنصر من عناصر الجذب، وزودت السياق بمعان كثيرة. يقول أبووت: «المهارة هنا كيف نختار عناصر الخيال الدرامي؟ القصص الجيدة هي التي تسمح لك باستخدام كل هذه العناصر من عناصر الخيال الدرامي».

2. الانتباه: كأن نقول للأطفال: «دعونا نرسم حصاناً مريضاً (تعبيرات على الرسم). في مثال اليسروع الجائع، رسمت المشاركات اليسروع بوجوه مختلفة، ودود، ذكي، شره، . . . الخ. وهذه وسيلة لجذب انتباه الأطفال إلى التفاصيل. يقول أبووت: لا يهم ماذا رسم الطالب في سياق الدراما طالما يعرف الشكل الذي رسمه. فإذا قال عن شكل غير واضح المعالم أن هذا قط، فليس من واجبي الآن أن أقول له هذا ليس قطاً وأن القط شكله كذا. هو يرسم لنفسه وليس للكبار، لكن أستطيع أن أطور الرسم معه في الوقت المناسب».

3. المنفعة/الاهتمام: إظهار جوانب الضعف أو القوة في الشيء يمكن أن يثير الاهتمام. يقول أبووت: «بالأمس، قلت لهم، أمسكوا الأشغال بشكل جيد لأنها هشة ولكي لا تقع. هذا نوع من الاهتمام. الاستثمار في هذا الموقف هو العناية بالنباتات». يضيف لو كان من آليات جذب الاهتمام وجود أدوات خاصة بالعبادة، مثل الكفوف، وأدوات تنظيف، وأسرة مريحة، . . . الخ، فهي أدوات لبناء الاهتمام.

4. الدافعية: يمكن أن نثير دافعية الطلبة بلفت نظرهم إلى أن مكاناً مثل العبادة يجب أن يكون آمناً ونظيفاً، وبالتالي اطلب منهم أن يرسموا جميع الأدوات اللازمة التي تجعل المكان آمناً ونظيفاً.

5. القلق: يمكن أن نتحدث في السياق عن مزارع لديه دجاج مصاب بأنفلونزا الطيور، ونحن بحاجة إلى فريق عمل ماهر لحل مشكلة المزارع، وإن لم يتصرف الفريق بالسرعة الممكنة، فستنتقل العدوى إلى الجميع. يقول أبووت: «ترى بمن سيهتم

3. واسع وفيه مساحة .
4. أجهزة متوفرة: أسرة، أدوية، أقفاص، معدات طبية.

• **دراما وعباءة خبير:** محاكمة بيظري مهمل
يذهب فريق مختص إلى عيادة في القرية ويتفحصها، ويفحص
المكان من حيث النظافة والأمن وفق المعايير التي بنوها.

عباءة خبير: الفريق يخرج بتوصية ويصيغ قراراً بإغلاق المكان ريثما
تتحقق شروط الأمن والسلامة والنظافة.

■ خاتمة

«خلال الأيام الستة الماضية، كنا نحاول مع بعضنا البعض أن نبنى
المعرفة، وأن نشجع الأطفال على أن يبنوا المعرفة معنا وبمساعدتنا.
ما فعله الأطفال بالأمر فيما يتعلق بسباق شجرة الزيتون هو جوهر ما
بعد الحداثة. للأسف، فإن المعلمون في بريطانيا يريدون أن يأخذوا
الأطفال إلى عصر الحداثة، ويقومهم هناك، وأعتقد أن التربية هنا
تعمل كذلك على إبقاء الأطفال في عهد الحداثة. ما زلنا عالقين في
الحداثة متجاهلين أن الطفل يستطيع أن يفكر ويتفحص ويتخذ
قراراً. علينا أن نعمل معاً على تغيير طريقتنا في تعليم الأطفال.
والسؤال البيداغوجي الكبير هو: كيف نعلم؟ علينا أن نخلق سياقات
تتكامل فيها الدراما مع الاستقصاء، وتحقيق عناصر المنهاج في الوقت
نفسه، وهذا يتحقق في نظام عباءة الخبير. عباءة الخبير تسهل على
المعلم أن يتطرق إلى المنهاج ومواضيعه مهما كانت، وفي الوقت نفسه
يتناول القيم والمواقف عبر الدراما، ويجعل الطلبة يخططون لما يريدون
تعلمه ويقودون عملية التعلم عبر الاستقصاء، هذا باختصار ما نقوله
الدوائر الثلاث لنظام عباءة الخبير. والمعلم الجدي في هذا النموذج هو
الذي يتقن مهارة التساؤل وطرح الأسئلة (Questioning)، وأيضاً
مهارة بناء السياق والموقف التعليمي (Structuring) المناسب الذي
يحدث فيه تعلم حقيقي ذو معنى» (أبووت).

نادر وهبة

باحث رئيسي، مشروع العلوم والتكنولوجيا - مركز القطان

بيت صديقتها قبل ذهابها إلى بيت جدتها، وتحدث معها عن اقتراح
الذئب لها، هل أسلك الطريق التي أفرحها الذئب أم لا؟ أو ربما نركز
على التقاطها الأزهار، ونستكشف مع الأطفال طبيعة الأزهار في
الغابة. فلو لم يكن لدينا خيال، فلا معنى لقراءة القصص والروايات».

تدريب

طلب أبووت من المجموعة أن تتدرب على بناء سياق لنموذج عباءة
الخبير، متخذة موضوع عيادة الحيوانات السابق منطلقاً لذلك.

• بني السياق من إحدى المشاركات:

«في بيت قديم، وسط المدينة، توجد عائلة معروفة بمهارتها في
علاج الحيوانات المريضة بشكل كبير. ولأنهم مشهورون كثيراً،
فإن كثيراً من الناس يأتون مع حيواناتهم إلى عيادتهم الصغيرة
وبشكل يومي. ليس هناك متسع لجميع هؤلاء الناس، والعائلة
الآن تفكر في إيجاد مكان أوسع يتسع لأناس أكثر. ليس لديهم
متسع، الناس لا يجدون متسعاً لوضع حيواناتهم، ما يجعلهم لا
يستطيعون معالجة جميع الحيوانات».

• دراما للاستكشاف وجلب الانتباه والاهتمام

جلب الحيوانات التي رسمتها المشاركات، وتعمل كل المشاركة
على حمل حيوانها والذهاب إلى البيظري. بالاتفاق مع أبووت،
البيظري يطرح أسئلة على كل عائلة، ويختار معالجة تلك
الحيوانات التي تعاني كثيراً، ويهمل تلك المريضة بشكل متوسط
بسبب عدم اتساع العيادة. طفلة تحمل قطتها المريضة وتجادل
الممرضة بأن قطتها مريضة، وتريد أن تموت، لكن الطبيبة لا تعيرها
الاهتمام.

• عباءة خبير: مهمة وزبون

المشاركات هن فريق مختص بفحص العيادات من حيث النظافة
والراحة. وضع الفريق معايير لجعل المكان آمناً:

1. النظافة.
2. الخبرة لدى الأطباء.

